المحاضرة: المحظور من الكلام بين علماء اللغة وعلماء الأنثروبولوجيا: دراسة تحليلية مقارنة

مقدمة

يُعتبر الكلام أداة رئيسية للتواصل بين الأفراد داخل المجتمع، لكنه يخضع لقيود ثقافية واجتماعية تحدد ما يمكن قوله وما يجب تجنبه. هذه القيود تُعرف بـ"المحظور من الكلام(Linguistic Taboo) "، وهو مفهوم يدرس من منظورين رئيسيين: علم اللغة الذي يهتم بالبنية اللغوية والتغيرات الدلالية، والأنثروبولوجيا التي تركز على الأبعاد الثقافية والاجتماعية للكلام المحظور. يهدف هذا المقال إلى تقديم دراسة تفصيلية حول المحظور اللغوي من منظور علماء اللغة وعلماء الأنثروبولوجيا، مع تقديم أمثلة تطبيقية من ثقافات مختلفة.

أولًا: المحظور اللغوي من منظور علم اللغة

يرى علماء اللغة أن المحظور من الكلام هو جزء من البنية اللغوية التي تخضع لتغيرات مستمرة نتيجة للتحولات الاجتماعية والثقافية. ويتجلى المحظور اللغوي في عدة أشكال:

1. **التحريم الدلالي :(Semantic Prohibition)** بعض الكلمات تُصبح غير مقبولة اجتماعيًا بسبب تغيّر معانيها عبر الزمن. مثال على ذلك كلمة "مجنون" التي كانت تُستخدم للإشارة إلى المرضى العقليين، لكنها الآن تُعتبر مهينة في معظم السياقات.
2. **التحول اللغوي :(Euphemism and Dysphemism)** يتم استبدال الكلمات المحظورة بألفاظ مخففة تُعرف بـ"التلطيف اللغوي .(Euphemism) "مثال ذلك استبدال "الموت" بـ"الانتقال إلى الرفيق الأعلى" في بعض الثقافات.
3. **الرقابة اللغوية :(Linguistic Censorship)** بعض الألفاظ تُحذف أو تُغيّر عند استخدامها في الإعلام أو الخطاب الرسمي، خاصة في الموضوعات السياسية أو الدينية أو الجنسية.
4. **التأثير على البنية النحوية :**في بعض اللغات، يتم استخدام تراكيب نحوية مختلفة عند الحديث عن موضوعات حساسة. على سبيل المثال، في اليابانية، تُستخدم عبارات أكثر تهذيبًا عند الحديث عن الموت أو المرض.

ثانيًا: المحظور اللغوي من منظور الأنثروبولوجيا

يرى علماء الأنثروبولوجيا أن المحظور اللغوي مرتبط بالثقافة والدين والأعراف الاجتماعية. ويمكن تصنيفه إلى عدة أنواع:

1. **المحظورات الدينية :**تشمل الكلمات أو العبارات التي لا يجوز ذكرها بسبب العقائد الدينية. مثال ذلك في الإسلام، تجنب التلفظ باسم الله في سياقات غير لائقة، وفي اليهودية هناك تحريم لنطق اسم الله المقدس.
2. **المحظورات الاجتماعية :**تختلف من ثقافة لأخرى، مثل تجنب الحديث عن الموت في بعض المجتمعات الآسيوية، أو الامتناع عن استخدام ألفاظ معينة تتعلق بالجنس في المجتمعات المحافظة.
3. **المحظورات السياسية :**بعض الأنظمة السياسية تفرض قيودًا على استخدام مصطلحات معينة، مثل تجنب ذكر أسماء قادة معينين في سياقات نقدية، كما يحدث في بعض الدول الاستبدادية.
4. **محظورات تتعلق بالسن والجنس :**بعض الكلمات لا تُستخدم إلا في سياقات محددة تبعًا لعمر المتحدث أو جنسه، كما في بعض المجتمعات الإفريقية حيث لا يُسمح للأطفال باستخدام ألفاظ يستخدمها الكبار.

ثالثًا: أمثلة تطبيقية من ثقافات مختلفة

1. **الثقافة العربية:**
   - في بعض الدول العربية، يُفضل عدم ذكر أسماء أفراد الأسرة في الأماكن العامة، خاصة أسماء الأمهات والأخوات، لأن ذلك قد يُعتبر إهانة اجتماعية.

- يتم تجنب ألفاظ مباشرة عند الحديث عن موضوعات حساسة مثل الجنس أو الطلاق، ويُستخدم بدلًا منها ألفاظ مخففة مثل "العلاقات الزوجية" أو "الانفصال."

2. **الثقافة اليابانية:**

- يُعتبر الموت موضوعًا حساسًا، لذا يتم استخدام مصطلحات مخففة مثل "انتقل إلى العالم الآخر" بدلًا من "مات."
- يُحظر استخدام بعض الأرقام في المستشفيات لأن نطقها يشبه كلمات تعني "الموت" أو "المعاناة"، مثل الرقم 4 الذي يُشبه نطقه كلمة "الموت.(shi) "

3. **الثقافات الإفريقية:**

- في بعض القبائل الأفريقية، لا يُسمح بذكر أسماء الأشخاص الكبار سنًا مباشرة، بل يتم استخدام ألقاب بديلة مثل "والد فلان" أو "الرجل الحكيم."
- هناك محظورات لغوية تتعلق بالحيوانات، حيث لا يُسمح بذكر أسماء الحيوانات المقدسة مباشرة بل تُستخدم رموز بديلة.

4. **الثقافة الغربية:**

- في المجتمعات الغربية، هناك حساسية تجاه بعض الألفاظ العنصرية، ويتم استبدالها بمصطلحات أكثر قبولًا اجتماعيًا.
- هناك أيضًا محظورات تتعلق بالمحادثات في الأماكن العامة، مثل تجنب الحديث عن الرواتب أو الانتماءات السياسية في بعض البيئات المهنية.

رابعًا: أثر المحظورات اللغوية على تطور اللغة

المحظورات اللغوية ليست مجرد قيود، بل تلعب دورًا في تطور اللغة وتكيفها مع المتغيرات الاجتماعية. ومن أهم آثارها:

1. **ظهور ألفاظ بديلة :(Euphemisms)** مع مرور الزمن، يتم تطوير كلمات جديدة لتحل محل الكلمات المحظورة، مثل استبدال كلمة "معاق" بـ"ذوي الاحتياجات الخاصة."

عندما تصبح كلمة معينة غير مقبولة اجتماعيًا، يتم استبدالها بأخرى أكثر تهذيبًا. هذا التحول قد يؤدي إلى تغييرات واسعة في المعجم اللغوي.

- **في اللغة العربية:**
  - كلمة *"أعمى "*كانت تُستخدم للإشارة إلى الشخص الذي فقد بصره، لكنها أصبحت تُعتبر مهينة، واستُبدلت بـ *"كفيف "*أو *"ذو إعاقة بصرية."*
  - كلمة *"ميت "*غالبًا ما يتم تجنبها في الخطاب الاجتماعي، ويتم استخدام عبارات مثل *"انتقل إلى رحمة الله "*أو *"رحل عن الدنيا."*
- **في اللغة الإنجليزية:**
  - كلمة *"toilet"*(مرحاض) كانت تُعتبر غير لائقة في بعض البيئات، واستُبدلت بكلمة *"restroom"*أو *"bathroom".*
  - كلمة *"died"*(مات) تُستبدل بـ *"passed away"*(انتقل إلى رحمة الله) لجعلها أقل قسوة.

2. **تأثير على التراكيب اللغوية :**قد تؤدي المحظورات إلى تغييرات في بنية الجملة، مثل استخدام المبني للمجهول في بعض اللغات عند الحديث عن موضوعات حساسة.

- **في اليابانية :**يتم استخدام لغة أكثر تهذيبًا عند الحديث عن الموت، بدلًا من القول المباشر *"هو مات (kare wa shinda)"*، تُستخدم عبارة مثل *"هو غادر هذا العالم.(kare wa kono yo o sarimashita)"*

- **في بعض اللهجات العربية :**يُستخدم المبني للمجهول لتجنب ذكر فاعل الموت، مثل *"تُوفي فلان "*بدلًا من *"مات فلان "*.**3.**
+ تأثير المحظورات السياسية على اللغة

- **في كوريا الشمالية :**يتم منع استخدام أسماء معينة للإشارة إلى قادة البلاد، وأحيانًا يتم تعديل المعجم الرسمي لتجنب أي تشابه بين أسماء الأشخاص العاديين وأسماء الحكّام.

- **في بعض الدول العربية :**هناك محظورات على استخدام بعض المصطلحات السياسية مثل *"الاحتلال "*عند الإشارة إلى بعض القضايا الحساسة، ويُستخدم بديل مثل *"السيطرة العسكرية."*

+التأثير على الكلمات المحكية والمستخدمة يوميًا

- في الصين، يتم تجنب الرقم (四, sì) **4**لأن نطقه يشبه كلمة *"الموت*(死, sǐ) "، ولذلك يتم استبداله في بعض الفنادق والمستشفيات برموز بديلة أو يتم تخطيه تمامًا في أرقام الطوابق (مثل عدم وجود طابق رابع في بعض المباني).

- في المجتمعات الغربية، يتم تجنب بعض الكلمات العنصرية مثل *"negro"*أو *"oriental"*واستبدالها بـ *"African American"*و *"Asian".*

3. **خلق رمزية لغوية :**بعض المجتمعات تطور رموزًا لغوية للإشارة إلى الأشياء المحظورة، مثل استخدام لغة مشفرة في بعض الثقافات السرية

عندما يتم منع أو تقييد استخدام كلمات معينة، تظهر كلمات رمزية أو تعبيرات غير مباشرة للإشارة إلى المفاهيم المحظورة.

- **في الثقافة الجزائرية والمغربية :**يتم تجنب ذكر أسماء أفراد الأسرة، خاصة الأم، في السياقات العامة كنوع من الاحترام.

- **في بعض المجتمعات الإفريقية :**يتم استخدام ألقاب مثل *"رجل الحكمة "*بدلًا من اسم الزعيم احترامًا له.

- **في الأدب العربي :**يستخدم الشعراء والكتّاب تعبيرات رمزية عند الحديث عن موضوعات حساسة مثل الحب أو السياسة، كما هو الحال في شعر العصور القديمة حيث كان يتم التلميح بدلًا من التصريح.

.

الخاتمة

يُعتبر المحظور من الكلام ظاهرة لغوية وأنثروبولوجية معقدة تعكس التفاعل بين اللغة والثقافة. وبينما يرى علماء اللغة أن هذه المحظورات تؤثر على بنية اللغة ودلالاتها، ينظر إليها علماء الأنثروبولوجيا باعتبارها جزءًا من النظام الاجتماعي والقيمي للمجتمع. وتبقى دراسة المحظور اللغوي مجالًا مفتوحًا يتطلب مزيدًا من البحث لفهم تأثيره على الاتصال البشري وتطور اللغات عبر الزمن.

المراجع

- Allan, K., & Burridge, K. (2006). *Forbidden Words: Taboo and the Censoring of Language*. Cambridge University Press.
- Trudgill, P. (2000). *Sociolinguistics: An Introduction to Language and Society*. Penguin Books.
- Wardhaugh, R. (2010). *An Introduction to Sociolinguistics*. Wiley-Blackwell.